

التبيان في تفسير القرآن

(274) قوله تعالى وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بما وجاهدوا ومع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (87) آية. بين الله تعالى في هذه الآية أنه إذا أنزل سورة من القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) " أن آمنوا " ومعناه بأن آمنوا فحذفت الباء وجعل " أن آمنوا " في موضع نصب والتقدير بالايمن على وجه الامر ولايجوز الحذف مع صريح المصدر، وإنما جاز مع (أن) للزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حمل على المعنى. وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الامر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق ثم يجاهدا بعد ذلك بنفوسهم وأموالهم لانه لاينفعهم الجهاد مع النفاق. وقوله " استأذنك أولوا الطول " معناه أن ذوي الغنى من المنافقين إذا انزلت السورة يأمرهم فيها بالايمن والجهاد يستأذنون النبي (صلى الله عليه وآله) في القعود والتأخر عنه. مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشد ذلك عليهم ويكون عذابا لهم - وهو قول الحسن وابن عباس - فانهما قالا: إنما لحق هؤلاء الذم لانهم أقوى على الجهاد. وقوله " وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين " اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين من ذوي الغنى يقولون للنبي (صلى الله عليه وآله): اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزمنى والمرضى الذين لا يقدرّون على الخروج. قال الرماني: والسورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد احاطت بها كما يحيط سور القصر بما فيه، وسور الهر بقيته من الماء. والجهاد بالقتال دفعا عن النفس معلوم حسنه عقلا لانه مركز في العقل وجوب التحرز من المضار، وليس في العقل ما يدل على انه يجب على الانسان ان يمنع غيره من الظلم وإنما يعلم ذلك سمعا.